

أوروبا تواجه أربعة تحديات أساسية أحدها طهران تحوّل في مسارات العلاقات الإيرانية . الأوروبيّة

ثمة تحول في اجواء العلاقات بين اوروبا وايران ومسارها. هذا التحول لم يحدث بسبب الحرب الروسية - الاوكرانية التي انخرطت فيها ايران، ولكن ايضا بسبب التطورات السلبية للملف النووي الايراني، والموقف الاوروبي من الحركة الاحتجاجية الشعبية في ايران وطريقة التعاطي معها



يواجه الاتحاد الاوروبي في العام 2023 اربعة تحديات اساسية متعددة، ابرزها:

1- الحرب الروسية على اوكرانيا المتواصلة منذ ما يزيد عن 10 اشهر. ولا شيء يشي، في الوقت الحاضر، بأنها ستخيو او ستوقف. من الزاوية الاوروبية، تمثل المحافظة على موقف اوروبي موحد التحدي الاكبر بالنسبة الى القارة القديمة، خصوصا ان استدامة الحرب تعني مزيدا من الصعوبات الاقتصادية والمالية والمعيشية للمواطنين. صحيح ان الغرب، ومنه اوروبا، نجح في ابقاء الحرب داخل اوكرانيا ومنع تحولها الى مواجهة مباشرة بينه وبين روسيا، الا ان استمرارها حمال مخاطر، وعودة الطرفين الى طاولة المفاوضات تبدو بعيدة جدا رغم الحديث عنها. اوروبا تبدو انها الخاسر الاكبر، حيث انها لا تملك اوراقا ضاغطة قياسا بقدرة الولايات المتحدة على التأثير في مجرياتها من خلال الدعم غير المحدود لكيف، ولا ترى كيفية التوصل الى توافقات في شان هندسة امنها الجماعي، فيما الحرب مستعرة على اراضيها.

ولأن للحرب تبعات، فان التحدي الثاني لاوروبا عنوانه تواصل الازمات الاقتصادية والاجتماعية وامن التزود بالطاقة. فمن جهة، ينخر التضخم مدخرات الاوروبيين، فيما غلاء المعيشة والفوائد والاسعار، بما في ذلك المواد الأولية والاساسية يزيد من تهميش الشرائح الاكثر هشاشة. وخطورة الازمة الراهنة انها تحل بعد عامين من استفحال جائحة "كوفيد-19" التي استفندت الى حد كبير قدرات الحكومات على السير ببرامج الدعم المالي والاقتصادي للأفراد والشركات.

2- التطورات الحاصلة في كوسوفو بين الاكثرية الابانية من جهة، والاقلية الصربية "السلافية" من جهة ثانية، والتي كادت تفضي في الايام

الاخيرة الى انفجارات مسلحة. ولم ينس الاوروبيون وحشية الحروب المتعددة التي عرفتها يوغوسلافيا السابقة في كرواتيا والبوسنة وكوسوفو، وهم حريصون على الا تنشب حرب جديدة الى جانب اوكرانيا. من هنا الضغوط القوية التي مورست على بلغراد وبريشينا للجم الاندفاع نحو المواجهة، ولكن هل ستكون كافية لمنع تجدد التصعيد في المستقبل من الايام؟ وللاتحاد الاوروبي، الذي يعد طرفا فاعلا رئيسيا في المنطقة، خلافاته الداخلية في شأن مسألة كوسوفو، فلم تعترف اسبانيا ورومانيا وسلوفاكيا وقبرص واليونان بكوسوفو. لجميع هذه البلدان قضايا تتعلق بالاقليات او الاعراق المختلفة، وتعتبر كوسوفو سابقة محتملة لقضاياها. ومن المفترض ان تكون عضوية الاتحاد الاوروبي عنصر تشجيع لحل المشاكل في البلقان بطرق سلمية.

3- وصول اليمين المتطرف الى الحكم في اكثر من دولة اوروبية، وآخر تجلياته وصول جيورجيا ميلوني رئيسة حزب "فرايتلي ايطاليا" (اخوان ايطاليا) الى السلطة في روما، ما نظر اليه على انه تهديد للقيم التي قام على اساسها الاتحاد الاوروبي. وانضمت ايطاليا وبولندا والمجر والسويد، الى حد ما، وقبلها النمسا، الى نادي الدول التي يتحكم اليمين المتطرف بإدارتها، اما منفردا او في اطار تحالفات ظرفية. وثمة استحقاقات انتخابية عدة في العام 2023 ابرزها في بولندا واسبانيا. بيد ان المخاطر لا تتمثل في الانتخابات وحدها، بل في الايديولوجيا التي يبثها اليمين المتطرف الذي يتقدم في غالبية الدول الاوروبية وفي قدرته على التأثير على القرارات الحكومية، ومنها كيفية التعامل مع الاجانب وخصوصا الهجرات غير الشرعية. صحيح ان ايا من الدول المعنية لم تقر، كما فعلت بريطانيا، ترحيل المهاجرين الى افريقيا. الا ان اجواء العامة التي يبثها اليمين المتطرف حمالة مخاطر على الامن الاجتماعي الداخلي للبلدان المعنية

وعلى البناء الاوروبي بشكل عام. مع العلم ان الحرب في اوكرانيا فاقمت الارقام بسبب الهجرات المكثفة للاوكرانيين في الشهر الاولي للحرب، الا ان الهجرات القادمة من خارج بلدان الاتحاد ازدادت بدورها.

4- التحدي الايراني الذي ازداد حجما والحاحا، نتيجة التصادم في ملفات عدة، وارتفاع درجة التوتر الذي بلغ اوجه مع موافقة غالبية اعضاء



البرلمان الاوروبي على قرار يؤكد مطالبة الاتحاد الاوروبي بادراج "الحرس الثوري" الايراني كيانا ارهائيا، بالاضافة الى معاقبة الجهات والافراد الضالعين في انتهاكات حقوق الانسان. بمن في ذلك المرشد الايراني علي خامنئي والرئيس ابراهيم رئيسي والمدعي العام محمد جعفر منتظري، بالاضافة الى الحرس وذراعه الخارجية للعمليات الاستخباراتية والعسكرية "فيلق القدس"، وميليشيا "الباسيج" التي شاركت في حملة قمع المتظاهرين. ويدعو القرار الى حظر اي نشاط اقتصادي او مالي مع "الحرس الثوري" المنخرط في انشطة اقتصادية عبر تكتلات من الشركات بشكل مباشر او غير مباشر في مختلف القطاعات.

ودان البرلمان الاوروبي بأشد العبارات احكام الاعداد وعمليات اعدام المتظاهرين السلميين في ايران، وطالب السلطات الايرانية بانهاء اعمال القمع ضد شعبها. في وقت كانت فرنسا وبريطانيا

تدينان احتجاز مواطنين فرنسيين وبريطانيين وسجنهم في طهران كرهائن لابتزاز البلدين واوروبا. اسباب التوتر في العلاقات الاوروبية - الايرانية والتبدل في طريقة التعاطي الاوروبي مع ايران، حددتها مصادر دبلوماسية فرنسية في 4 نقاط ومواضيع:

1- مسؤولية ايران في وصول مفاوضات الاتفاق النووي الى طريق مسدود: "ايران تتحمل كامل



مسؤولية هذا الوضع. ولم تقتنص ايران فرصة قبول النص الذي قدمه المنسق الاوروبي، العام المنصرم، بعد اشهر عدة من المفاوضات، بغية استئناف الامتثال لاتفاق عام 2015، مع انه كان

افضل اقتراح يمكن تقديمه. وتواصل ايران في موازاة ذلك تصعيدها النووي المثير للقلق الشديد وعرقلة عمل الوكالة الدولية للطاقة الذرية".

2- تهديد ايران لمحيطها الاقليمي وزعزعة استقراره: "تعمل ايران مباشرة في البلدان المجاورة لها وعبر وسطاء يحققون مصالحها. وتزيد بشكل هائل في ترسانة الصواريخ والطائرات المسيّرة، وهذه الانشطة المزعزعة للاستقرار آخذة في التصاعد".

3- المشاركة الايرانية في جهود الحرب الروسية في اوروبا. "نحن نستنفر طاقتنا بالفعل بغية التصدي لتهديد نقل الطائرات المسيّرة الايرانية الى روسيا، وتوظف هذه القدرات لدعم هجمات تستهدف السكان والبنى التحتية المدنية الاوكرانية، وقد تعد هذه الهجمات جرائم حرب".

4- سياسة احتجاز الرهائن التي تنتهجها ايران استهدافا للاوروبيين بصورة خاصة، وهي تعد موضوعا مهما كذلك. "لا يمكن قبول سياسة الاحتجاز التعسفي هذه بغية الضغط على حكوماتنا التي قررت فرض رمزات عدة من العقوبات على مسؤولين عن القمع، وهي تشمل وزراء واعضاء في الحرس الثوري الايراني".

ويقول احد الخبراء في شؤون اوروبا والسياسات الشرق اوسطية ان انقلاب الموقف الجماعي السياسي الاوروبي ليس فقط نتيجة الحرب الاوكرانية وتزويد طهران موسكو مسيرات تستخدمها في قصف المدن الاوكرانية، فهذه المسألة على الرغم من اهميتها الاستراتيجية يتعامل معها الغرب كخطأ ايراني لا يمكن ان يمر من دون محاسبة، ولكن يمكن لمندوبي الاتحاد الاوروبي او المفاوضين النوويين في فيينا او اي مدينة اخرى ان يفرضوه كبنء رئيسي في اي جولة مفاوضات محتملة مستقبلا مع ايران. الا ان الاشد تعقيدا على طهران في علاقتها المتردية بالاوروبيين في هذه المرحلة هو انقلاب الرأي العام الاوروبي الذي تراجع عن كثير من الايجابيات التي كان يراها في ايران، وبدأ بتسليط الضوء على سلبيات كبيرة كانت مهمة عمدا في بعض الاحيان، حيث يأتي هذا التحول متأثرا الى درجة كبيرة بالمشهد الايراني الداخلي، ونتيجة فعل التضامن الكامل مع شعارات الحرية والعدالة التي يرفعها المحتجون وخصوصا حقوق المرأة.

من الممكن القول ان انعكاسات الرأي العام الاوروبي تظاهرات في مدينة ستراسبورغ مقر البرلمان الاوروبي، حيث تلقت طهران رسالة تحذير واضحة وحادة لا تتعلق فقط باوضاعها الداخلية، بل تطاول مباشرة العمود الفقري للنظام وصانع نفوذها الخارجي والمفاوض الاساسي في ملفها النووي (الحرس الثوري). ويوما بعد يوم تتراجع - ليس فقط - فرص التوافق بين الايرانيين والاوروبيين، بل حتى ضبط التصعيد بينهما، او احتواؤه لمنع من الوصول الى مستوى يفرض على الطرفين خيارات صعبة، قد تؤدي الى تغيرات استراتيجية في المقاربة الاوروبية التقليدية لايران وموقعها الجيوسياسي ونفوذها الاقليمي وحتى الحاجة اليها في اسواق الطاقة.